الجزء الأول

تنسيق: ياسر أغا، حفصة عيساني

التكامل المعرفي

بين العلوم اللّغوية والعلوم الأخرى

دراسات

دار ومضة للنشر والتوزيع والترجمة

التكامل المعرفي بين العلوم اللّغوية والعلوم الأخرى

تنسيق: ياسر أغا، حفصة عيساني

تنسيق: ياسر أغا
حفصة عيساني

9 789931 875857

E-mail : warndaedition@gmail.com
dar.warnda7@gmail.com
Tel : 00213657300415
رقم الإيداع: 978-9931-875-85-7

دار ومضة للنشر والتوزيع والترجمة

التكامل المعرفي

بين العلوم اللّغوية والعلوم الأخرى

يطلق على هذا المجال/الظاهرة مصطلح (الدراسات البينية) تارة و(التكامل) تارة أخرى، وتقام مؤتمرات وفق هذه العناوين وتعنى بالموضوعات والقضايا ذاتها أو المتشابهة، غير أن الحديث عن (البَيْنِيَّة) ناتج عن تصور للعلاقة بين العلوم اللغوية وغيرها يختلف عن التصور الذي نحاول تقديمه في هذه المناسبة العلمية معبرين عنه بمصطلح (التكامل)؛ ذلك أن (التكامل) بين العلوم ناتج عن ظاهرة الإقراض والاقتراض التي شهدتها العلوم جميعها وليس بين العلوم الإنسانية فقط، فما قدمته علوم الحاسوب، على سبيل المثال، استفادت منها علوم كثيرة من بينها اللسانيات، وهذا هو تماما المقصود بمبدأ (التكامل)، كما يهدف المؤتمر إلى الالتفات إلى أهمية (التكامل) الحاصل بين العلوم اللغوية والعلوم الأخرى، والعناية بمبدأ والاقراض والاقتراض بين العلوم خاصة على المستوى النظري، إضافةً إلى بيان التصورات النظرية خاصّة التي تعكس هذا المبدأ بين هذه العلوم، كما يسعى هذا المؤتمر إلى البحث عن الابتكارات والاقتراحات العلمية الجديدة.

ـرئيس اللّجنة العلميّة للمؤتمر: الدّكتور ياسر أغا

مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات - الجزائر

مدارات
في اللغة والأدب
مجلة فصلية دولية محكمة

الجمعية الليبية للعمل الوطني
Libyan Association For National Act

المجلس العربي للأكاديميين والكفاءات
Arab Council for Academicians and Competencies

الجمعية الليبية للعلوم اللغة العربية
Libyan Society for Arabic Language Sciences

سلال
مجلة الدراسات الدينية

ANKARA DÜŞÜNCE VE ARAŞTIRMA MERKEZİ
ADAM
ANKARA CENTER FOR THOUGHT AND RESEARCH

القرآن الكريم ومفاتيح العلوم الكونية
-دراسة تفسيرية علمية لغوية-

ملخّص البحْث

هذا البحث يربط العلاقة الوطيدة الوثيقة بين كتاب الله عز وجل وبين العلوم الكونية التي تختص بدراسة الكون والفلك والطبيعة، وهي دراسة مقتضبة جدا تبحث عن مفاتيح تلك العلوم التي وردت في القرآن العظيم كإشارات علمية تحث الإنسان على التفكر والتأمل في أسرار الكون لتقوده إلى الخالق جل وعلا، وهي دراسة تفسيرية علمية تعتمد على أسس اللغة العربية وقواعدها وترتكز عليها في الاستنباط والاستنتاج... وتقوم خطة البحث على مقدمة فيها سبب الاختيار والاهمية وما يلحق بها، ثم مبحثان الأول منهما في أقوال العلماء في الربط بين الآيات القرآنية والآيات الكونية، والثاني: في الميزان العلمي المنطقي في التعامل مع المكتشفات، ثم الخاتمة لنتائج البحث، ثم قائمة لمصادر البحث ومراجعه.

كلمات مفتاحية: القرآن الكريم، مفاتيح، العلوم الكونية، الطبيعة، الدراسة، التفسير.

فاضل يونس حسين

جامعة الموصل – كلية العلوم الإسلامية – قسم العقيدة والفكر الإسلامي (العراق)

مقدمة:

الحمد لله الذي أكرمنا بالقرآن دستورا في كل شيء ومنهاجا، وجعله ميزانا لكلامنا العربي، فما وافقه من الكلام فهو العربي الصحيح الفصيح، وما خالفه وخرج عن مساره وقاعدته وأصله فهو الخطأ الفاحش القبيح. وقد حوى هذا الكتاب الخالد مفاتيح العلوم كلها ومن بينها العلوم الكونية والطبيعية، ومن اجتهد فأعمل الفكر وصل إلى المفتاح المطلوب، ومن لا فلا.

وقد دعاني إلى كتابة هذا البحث ما ورد فيه من المفاتيح لتلك العلوم الضرورية لحياة البشرية، ولا شك في أنه موضوع مهم جدا يربط بين حياة المسلمين بعقيدتهم ودينهم، فكتابهم المقدس فيه حقائق الحقائق العلمية، وأسرار نواميس الطبيعة وقوانينها.

وتكمن مشكلة البحث في تصورات العلماء المسلمين ممن سبقونا بعدم الاهتمام بما يستحقه الجانب العلمي والإعجازي لهذا الكتاب الكريم، فقد كانوا يرون فيه الدين فقط، وقد لمست لدى أعمام والدي رحمهم الله وهم علماء الشريعة تركهم قراءة ما ليس من الفقه في كتب التفسير كتفسير الإمام الرازي، وهذه مشكلة، كيف لا والقرآن الكريم يحتوي على كل ما يسعد المسلم في دنياه وأخراه، والسؤال الكبير الذي يريد منه إجابة حقيقية هو: كيف نتعامل مع القرآن في عصرنا الحالي؟!

والجواب الإجمالي هو التأمل في آياته بنظرة عصرية تستند على كنوز التفسير وذخائر أهل اللغة بشرط عدم الخروج من قواعد اللغة العربية وأصول أساليب العرب.

ومن هنا تتحدد أهداف البحث التي تكتسب منزلة سامية تكمن في استثمار آيات الكتاب العزيز وتثويرها لنفهم من خلالها الاكتشافات العلمية الحديثة، لنثبت لغير العرب والمسلمين حقيقة القرآن الكريم، التي تنطق بلسان الحال وتقول أنا كلام الله الذي أنزله على نبيه محمد قبل ألف وخمسمائة سنة تقريبا.

أما خطة البحث فهي عبارة عن مقدمة ثم يليها مبحثان الأول منهما في أقوال العلماء في الربط بين الآيات القرآنية والآيات الكونية، والثاني: في الميزان العلمي المنطقي في التعامل مع المكتشفات، ثم الخاتمة لنتائج البحث مع مقترحات وتوصيات، ثم قائمة لمصادر البحث ومراجعه.

المبحث الأول: أقوال العلماء في الربط بين الآيات القرآنية والآيات الكونية

توطئة:

في هذا المبحث نذكر أقوالا تعنى بربط العلاقة الوثيقة والوطيدة التي لا تقبل انفصامًا ولا انفصالاً بين الآيات القرآنية والآيات (الإشارات) الكونية، وهي أقوال لمشاهير علماء الأمة من المحققين في العلوم، ثم نقرنهما بذكر أقوال موجزة لعلماء الكون المرموقين، لننطلق منها إلى مدى التطابق التام بين ما يعتقده أولئك العلماء ويؤمنون به في قرارة أنفسهم من الخضوع الكلي والخشوع لخالق الكون العجيب جل جلاله، وذلك في مطلبين مستقلين متتاليين.

قال الله تبارك وتعالى مبينًا عجائب قدرته: **{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}** [فصلت: 53].

ههنا نعقد مقارنة بين رأيي مفسرين لهما مكانتهما الرفيع بين جماهير العلماء، الأول هو الإمام البيضاوي (ت 685هـ= 1292م)، والثاني شيخ الأزهر الشيخ الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي (ت: 1431هـ= 2010م) اللذين ينتميان إلى قرنين مختلفين وعهدين متباينين علميا وزمنيا، فبينهما أكثر من سبعة قرون، يقول الإمام البيضاوي رحمه الله في تفسير هذه الآية الكريمة: (يعني ما أخبرهم النبي عليه الصلاة والسلام به من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية، وما يسر الله له ولخلفائه من الفتوح والظهور على ممالك الشرق والغرب على وجه خارق للعادة. **{وَفِي أَنْفُسِهِمْ}** ما ظهر فيما بين أهل مكة وما حل بهم، أو ما في بدن الإنسان من عجائب الصنع الدالة على كمال القدرة. **{حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ}** الضمير للقرآن أو الرسول أو التوحيد أو الله **{أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ}** أي أو لم يكف ربك، والباء مزيدة للتأكيد كأنه قيل: أو لم تحصل الكفاية به ولا تكاد تزاد في الفاعل إلا مع كفى. **{أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}** بدل منه، والمعنى أو لم يكفك أنه تعالى على كُلّ شَيْءٍ شَهِيدٌ محقق له فيحقق أمرك بإظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الأشياء الموعودة)[1]. ويقول شيخ الأزهر رحمه الله في تفسيرها: (دلائل وحدانيتنا وقدرتنا في أقطار السموات والأرض، من شمس وقمر ونجوم، وليل ونهار، ورياح وأمطار، وزرع وثمار، ورعد وبرق وصواعق، وجبال وبحار.

سنطلعهم على مظاهر قدرتنا في هذه الأشياء الخارجية التي يرونها بأعينهم، كما سنطلعهم على آثار قدرتنا في أنفسهم عن طريق ما أودعنا فيهم من حواس وقوى، وعقل، وروح، وعن طريق ما يصيبهم من خير وشر، ونعمة ونقمة. ولقد صدق الله- تعالى- وعده، ففي كل يوم بل في كل ساعة، يطلع الناس على أسرار جديدة في هذا الكون الهائل، وفي

---

1 البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت 685هـ)، (1418هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1: 5/ 75.

أنفسهم.. وكلها تدل على وحدانيته تعالى وقدرته، وعلى صحة دين الإسلام الذي جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام)[1].

ولا يخفى على أحد جمال ما ذكره شيخ الأزهر وسحره وعمق الفهم المتأتي من تطور وسائل العصر في الوصول إلى الحقائق العلمية في مقابلة قول الإمام البيضاوي، عندما عقدنا المقارنة بين التفسيرين الجليلين المباركين، وهذا بطبيعة الحال لا يقتضي انتقاصًا من سيدنا الإمام البيضاوي رحمه الله حاشاه، ولكن في عصره كانت المسائل العلمية سطحية لم تتعمق باستخدام الوسائل كالمجاهر والمراقب والمراصد والمختبرات... الخ.

ثم إن الآيات نوعان خلافًا للشيخ محمد راتب النابلسي التي يراها كونية وتكوينية وقرآنية، وأنا أميل إلى قانون الازدواجية في الكون التي شرحت تفاصيله في أطروحتي الثانية قال تعالى **{وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}** [الذاريات: 49]، وعليه فالآيات نوعان هما:

1. **الآيات المقروءة (القرآنية):** وهي آيات القرآن، أمرنا ربنا أن نتلوها بتدبر، قال تعالى: **{أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}** [محمد: 24]. لأنها لو كانت من عند غيره تعالى: **{لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا}** [النساء: 82]. وهذه تسمى أحياناً بـآيات "الكون المقروء" أو "آيات الكون المسطور"، والتي يحويها الكتاب التدويني [2]. وهي محفوظة في الصدور.

2. **الآيات المنظورة (الكونية):** تتمثل في الظواهر الطبيعية والسنن الكونية وأسرار الخلق... الخ. تسمى أحيانا بـ " آيات الكون المنظور"، والذي يحويها الكتاب التكويني [3]. قال تعالى: **{وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ}** [فصلت: 37]. وقال أيضا: **{وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ}** [الشورى: 29]. وقال: **{وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ۞ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ}** [الذاريات: 20-21]. وهي محفوظة في السطور في الكتاب سابقًا وحاليًا في أجهزة الخزن الحديثة المتمثلة بوحدات الذاكرة الوميضية "الفلاش ميموري Flash memory " ومختصرها USB[4].

إن الله تعالى عندما يوجه أنظار عباده ليكتشفوا من خلال تفكرهم وتدبرهم وتأملهم بالنظر الفاحص في آيات السماوات والأرض، أسرار الكون، لتتجلى لهم حقيقةُ وجود خالقهم، وليكتشفوا ما سنَّه تعالى من قوانين ونواميس وسنن كونية رائعة وبديعة وزاهية وجميلة وعجيبة غاية العجب والدهشة، على اعتبار أنه القادر العالم المحيط بكل شيء، نراه يخاطب

---

1 طنطاوي، أ. د. محمد سيد: شيخ الأزهر السابق، (1998)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1: 12/ ٣٦٦.

2 بلقاضي، مكانة العلوم الكونية والمهنية في الإسلام، رابطة أدباء الشام، في 4/ 2009/4م: 1.

3 مكانة العلوم الكونية والمهنية في الإسلام: 1.

4 الذاكرة الفلاشية أو الذاكرة الوميضية (بالإنجليزية: USB flash drive) جهاز تخزين بيانات يحوي ذاكرة وميضة تستخدم واجهة USB. يُستخدم كوسيط عملي لتخزين ونقل البيانات. الفلاشات صغيرة الحجم لا تحوي أجزاء ميكانيكية وتتوافر بسعات تخزين كبيرة. وهي سهلة الحمل وأكثر توافقية. وهناك ذاكرة الفلاش وهي ذاكرة من نوع EEPROM chip وهي اختصار لـ Electrically Erasable Programmable Read-Only Memory. أي شريحة ذاكرة القراءة الكهربية القابلة للبرمجة والمسح. الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

العقلاء لأن العقل وسيلة طبيعية، وأداة مُعَدّة لكشف الحقائق الكونية،ففي قوله: **{وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}** [البقرة: 163]. يخاطب عقولَ عباده ليقلبوا النظر في آياته، ويعملوا فيها الفكرَ والرويةَ متدبرين متأملين، وبل ليغوصوا في البحثِ. فإلى هذا كلّه جاء قوله تعالى: **{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}** [البقرة: 164] [1]. وقوم يعقلون، هم أصحاب العقول النيرة **{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ}** [آل عمران: 190]. إن "الآيات المقروءة" المحفوظة في الصُّدور أو بين السُّطور، أو بجميع أنواع الذاكرات الإلكترونية المبتكرة التي إشير إليها في الهامش (1)، تدعو بجدٍّ إلى التأمل في "الآيات الكونية" المحفوظة بقوانينها، لأجل فهم أسرارها وصولاً إلى معرفة خالقها المبدع، فتدبرُ الآيات الكونية إنَّما يكون بمعرفة أسرارها الوجودية والتركيبية والوظيفية الفعلية، التي تدرسها العلوم الكونية المختلفة من الفيزياء والكيمياء والبيولوجي والجيولوجي... وما شابه.

فالفيزياء تدرس القوانين التي تحكم المادة كالجاذبية والكهرباء والمغناطيس، وقوانين الحركة بأنواعها، وعلم الفلك يدرس الكواكب والنجوم والمجرات... الخ.

المطلب الأول: أقوال علماء الشريعة

إن الله سبحانه وتعالى لم يترك خلقه هملاً دون توجيه وإرشاد وتربية وتعليم، وأقام الحجة عليهم بخلقهم ونفخ الوح فيهم وبتزويدهم بالعقل الجبار ميزان التفكير.

يتصور الباحث أن العلاقة الوثيقة بين النوعين تبدو من هنا، فلئن كان شخص ما أمياً، لم يتسنَّ له طرق باب طلب العلم للحصول عليه، أو لعله كان أعجمياً لا يدرك بلاغة القرآن، فإنه لن تخفى عليه " الآيات الكونية" المودعة بأسرارها في الكون الفسيح الواسع المنظور. ولذلك فإنَّ العلم الشرعي لا يمكن أن يتناقض مع العلم الكوني، بل لا ينفصل عنه بحال، وكيف يتناقضان وخالق الأكوان هو منزل القرآن؟! فالآمر بتدبر القرآن هو الآمر بالسير في الأرض والنظر والتفكر في الأكوان!

ولئن كان أحدهما ضياءً، فالثاني نورٌ، فيما يصفه العلامة النورسي (ت: 1379هـ) رحمه الله وهو يرى أن ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة، فتتربى همة الطالب وتعلو بالجناحين كليهما، أما بافتراقهما فيتولد التعصب في الأولى، والجيَل والشبهات في الثانية [2]. وربما الأساطير والخرافات. ونحن المسلمين نبرأ إلى الله تعالى من التعصب وما يتبعه، ومن الحيل وأشباهه.

---

1 ينظر: الجابي، سليم، النظرية القرآنية الكونية حول خلق العالم، 1992م: 12.

2 ينظر: النورسي، صيقل الإسلام، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط6، 2011م: 402.

ينبغي التنبيه هنا أن الباحث لم يتبع طريقة كلاسيكية قديمة معتادة ومألوفة في سرد أقوال العلماء، لكن طرحها بأسلوب سلس يذكر الرأي والقول دون عزوه بصراحة إلى قائله لأن الهامش كفيل بهذا.

يحثّنا ابن باديس (ت: 1359هـ) حثاً على الاهتمام بالعلوم الكونية فالله قد دعانا الى العلم مرغبا فيه، وأعلمنا أنه خلق لنا ما في السموات وما في الأرض جميعاً، وأمرنا بالنظر فيما خلقه لنا، وأعلمنا هنا أن في هذه المخلوقات أسراراً بينها القرآن واشتمل عليها، وكان ذلك من حجته العلمية على الخلق [1]. ويرى ابن باديس أن من أساليب الهداية القرآنية إلى علوم الكون أن عرض القرآن صوراً من العالمين العلوي والسفلي في بيان بديع جذاب، يشوقنا الى التأمل فيها والتعمق في أسرارها، وهنا يذكر لنا ما خبأه في السموات والأرض لنشتاق إليه، وننبعث في البحث عنه لاستجلاء حقائقه ومنافعه وخيراته لنا نحن البشر ولما نملك من الأنعام، بدافع قوي من غريزة حب الاستطلاع والرغبة في التعرف على المجهول [2].

في قوله تعالى: **{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ}** [الحج: 73]. سبعة عشر اسماً أو صفة لله تعالى، جاءت مع الحديث عن الكون والحياة والمكان والزمان وكأنها تقول للناس: ما ترون في كل أفق هو صنع الله، إنَّ الفاعل غير مجهول عند أصحاب العقول، وفي صفتي اللطف والخبرة مقرونتين باخضرار الأرض وسريان الحياة في كيانها بعد هطول المطر، دعوة لنا نحن المسلمين إلى تصحيح المناهج الدراسية التقليدية لعلوم الكون من علوم الكيمياء والفيزياء والنبات والحيوان... بتأليف كتب تزيل الإبهام والريب عن أسرار الحياة وخلق العالم لعقد الصّلح الواجب بين الإيمان والعلم، وقطع الطريق على التّدين المغشوش حين يحاول فرض نفسه على العالم بالكهانة والتهويم [3].

وما أكثر المغرر بهم في أيامنا هذه. لذا ينبغي العمل بجد طاعة لأوامر الله في تحصيل هذه العلوم التي يراها شيخ الأزهر؛ عبد الحليم محمود رحمه الله علما يدعو إليه الإسلام فضلا عن علوم الدين التي لا يستغنى عنها بحال، من تفسير وحديث وفقه. وإن الآية الكريمة: {**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**} [فاطر: 28]. إنما وردت في معرض الحديث عن الكونيات المادية [4].

ثم إن الذين يتصلون مثلاً بعلم التشريح من قرب أو يتخصصون فيه، يرون من الإحكام المحكَم، ومن الدقة الدقيقة في مختلف الأجهزة الجسمية، وفي مفرداتها، ما يضطرهم اضطراراً إلى السجود لرب هذا التنسيق والترتيب والإبداع. وليس علم التشريح وحده الذي

---

1 ينظر: تفسير ابن باديس. دار الكتب العلمية. 1416هـ: 1/ 160- 161.

2 ينظر: المرجع نفسه: 1/ 276.

3 ينظر: الغزالي. محمد. علل وأدوية، دار الشروق، د. ط، د. ت: 211.

4 ينظر: محمود. الشيخ أ. د. عبد الحليم: شيخ الأزهر الأسبق. موقف الإسلام من الفن والعلم والفلسفة. دار الرشد. القاهرة. ط2. 1424هـ: 73.

يبهر العالم المتبحر فيه، وإنما يبهر علم الفلك العالم الفلكي، وعالم الإحياء وهو يتأمل عوالمه، ويفاجأ كل يوم بجديد وغريب وبديع فيها [1]، ثم إن هؤلاء جميعاً وغيرهم يجدون أنفسهم لا محالة أمام صنع الله الذي أتقن كل شيء صنعاً، فيقولون مع القرآن الكريم: **{تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ}** [الملك: 1- 4]. لقد أحدث الإسلام بهذا الموقف الرائع من العلم نهضة علمية أثمرت الحضارة الإسلامية التي سمت البحث في الطبيعة في الكون بالعلم بسنن الله الكونية [2].

وقد بين الشيخ محمد أبو شهبة علاقة القرآن بالعلوم التجريبية مؤكداً فتحه الباب لتلك العلوم، فحين دعانا إلى النظر في آيات الآفاق والأنفس لم يقف عند حد الاعتبار والاتعاظ بالظواهر والصور والأشكال فحسب، وإنما أراد إلى ذلك: استكشاف المستور، واستكناه الأسرار، والتقصي عمّا فيها من عجائب، وسنن، وخواص عن طريق الملاحظة حيناً والتجارب أحياناً أخرى؛ وبذلك يكون القرآن فتح أبواباً للعلوم التجريبية منذ أربعة عشر قرناً من الزمان، ولو أن المسلمين استفادوا بما فيه من توجيهات وإرشادات لكانوا- كما كان الشأن في سلفهم الأولين- أسبق الأمم إلى الكشوف العلمية والاختراع والابتداع، ولصاروا سادة الدنيا، ولأضحى بيدهم زمام الأمور، ولكنهم جمدوا ولم يستفيدوا بهدي القرآن وإرشاداته [3]! ولقد كان من سبقنا يقرأ في كتب السلف الناحية الشرعية فقط، دون أن يطالع ما فيها من علوم الكون والحياة.

المطلب الثاني: أقوال علماء الكون

تلك جملة من الأقوال لعلماء الشريعة، الذين ليس لديهم صلة بالدراسات الطبيعية مباشرة، والحاجة تقتضي الاستماع إلى أهل التخصص ممن يربط حقائق العلم بوحي السماء فالمنطلقات العلمية المكتشفة سابقا أكدت مسلمات جاءت بها القرآن [4].

والعلم بكل فنونه يهدي إلى الحق بشرط التعمق فيه وعدم السطحية مع الصدق والإخلاص. قال الفيلسوف الانجليزي "فرانسيس بيكون" Francis Bacon منذ أكثر من ثلاثة قرون: (إن قليلاً من الفلسفة يقرب الإنسان من الإلحاد، أما التعمق في الفلسفة فيرده إلى الدين) [5] لأن الفلسفة فيما يرى نديم الجسر بحر على خلاف البحور يجد راكبه الخطر

---

1 ينظر: المرجع نفسه: 73- 74.

2 ينظر: علل وأدوية، مرجع سابق: 74- 75.

3 ينظر: أبو شُهبة، محمد، المدخل لدراسة القرآن الكريم، دار اللواء، الرياض، ط3، 1407هـ: 11- 12.

4 الطائي، د. محمد باسل، صيرورة الكون، عالم الكتب الحديث، إربد، 2010م: 13.

5 نخبة من العلماء الأمريكان، الله يتجلى في عصر العلم، دار القلم، بيروت: 41.

والزيغ في سواحله، والأمان والايمان في أعماقه [1]. لذا لسنا نستغرب إذا وجدنا اعترافاً بذلك من عباقرة العالم ومشاهير العصر، الذين منهم مثلاً:

- الطبيب الفرنسي وعالم الآثار الكبير الدكتور موريس بوكاي (Bucaille Maurice) (ت: 1418هـ)، والذي كان الطبيب الشخصي للملك فيصل آل سعود، وبعد دراسة للكتب المقدسة عند اليهود والمسلمين ومقارنة قصة فرعون، أسلم وألف كتاب "التوراة والإنجيل والقرآن والعلم دراسة في ضوء العلم الحديث، المترجم لسبع عشرة لغة منها العربية [2].

- د. لورا فيشيا فاغليري (ت: 1409هـ)، أستاذة اللغة العربية وتاريخ الحضارة الإسلامية في جامعة نابولي، التي ترى الإسلام ديناً يتخذ من التأمل العقلاني أساساً له، ويفسح مثل هذا المجال العريض للعقل، وتستغرب متسائلة كيف يمكن أن يكون مثل هذا الدين عقبة في طريق العلم والفلسفة؟ [3].

- "إلكس لوازون" الذي وصف كتاب محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي خلفه للعالم بأية البلاغة، وسجل الأخلاق، وبالتقديس، والأهم من كل ذلك أنه ليس بين المسائل العلمية المكتشفة حديثاً، مسألة تتعارض مع الأسس الإسلامية، لأن الانسجام تام بين تعاليم القرآن وبين القوانين الطبيعية [4].

- العالم الإنجليزي الكبير أ. "بريفولت" Robert Briffault مؤلف "بناء الإنسانية". الذي بين أن العلم ظهر نتيجة لروح من البحث جديدة، ولطرق من الاستقصاء مستحدثة، ولطرق التجربة والملاحظة والمقاييس، ولتطور الرياضيات إلى صورة لم يعرفها أهل اليونان، وهذه الروح، وتلك المناهج العلمية، أدخلها العرب إلى العالم الأوربي [5].

---

1 ينظر: الجسر، الشيخ نديم حسين. قصة الإيمان، مطبعة المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1389هـ: 18.

2 دكار، د. إلياس. المنهج البوكابي في إثبات ربانية القرآن في ضوء العلم، مجلة الدراسات العقدية ومقارنة الأديان، المجلد: 9، العدد: 1، د. ت: 294.

3 ينظر: فاغليري، د. لورا فيشيا. دفاع عن الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، 1960م: 128.

4 ينظر: عزت، أحمد. الدين والعلم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر: 24.

5 ينظر: موقف الإسلام من الفن والعلم والفلسفة: 78.

المبحث الثاني: الميزان العلمي المنطقي في التعامل مع المكتشفات

المطلب الأول: الرد على سؤالين مهمين

في هذا المبحث نعالج قضية معقدة وذلك بالرد على سؤالين هما:

1. ما الواجب على الباحثين المعاصرين في التفسير؟
2. ما حكم الكشوفات المتذبذبة التي لم تصل إلى مستوى الحقيقة العلمية؟

فما الواجب على الباحثين في التفسير؟ الجواب: عليهم التوفيق بين الحقائق الكونية مع النص القرآني المشير إليها. ولا يعذر بالجهل من تصدى للعلم بما تستجد منها، لأن القرآن أمره بالتدبر والتفكر، والسير في الأرض فالنظر فيها للوصول إلى الحقائق والاطلاع على أسرار الكون. كما لا يعذر أحد في اتهامنا بالتضاد مع العلم، بشرط واحد فقط ألا وهو بلوغ المسألة حد الحقيقة العلمية.. إننا نحن المسلمين، نقبل أي رأي أو "حقيقة" علمية، تخدم الإنسان، وتحقق خلافته في الأرض، وتكون قد "اختمرت" تماماً في وعاء "التجربة، والملاحظة، والاستنتاج، والشمول، والوضوح، والحقيقة". عندئذ فهي عندنا "جزئية" صادقة من "معادلة كلية" مطلقة في قانون الله العام الأعظم للكون. فاذا كانت منسجمة مع هذا "القانون"، فهي ليست في حاجة إلى تأييد أو رفض من أي إنسان [1]. فلا تناقضات بين الدين الحق وبين حقائق العلوم الكونية وغيرها، ولهذا يرى العالم الفيلسوف هربرت سبنسر Herbert Spencer أن العلم يناقض الخرافات، ولكنه لا يناقض الدين نفسه [2].

وماذا لو لم تصل الكشوفات إلى مستوى الحقيقة العلمية؟!

الجواب: لا بأس، لأنه فهم شخصي لا يقدح بحقائق القرآن الكريم، كما لا يخشى على الحقيقة القرآنية من التغييرات في النظريات العلمية - بحسب ما يرى الدكتور عبد المنعم النمر- لأن النظرية العلمية مهما تتغير لا تخرج عن أنها تكشف جديداً في التطور أو في بيان قدرة الله، وإن كنا لا نشجع على بيان معاني القرآن وأسراره على ضوء نظريات لا تزال محل بحث. ومع ذلك فإنه لا يضر في أن نبين معنىً أو نذكر شيئاً على أساس علمي ثم يظهر ضعفه، أو خلافه فيما بعد، لأن هذا الفهم لا يقدح في القرآن، ولأن هذا الذي وصلنا إليه وقلناه، يمثل عقليتنا وعلمنا نحن حين قلناه، ولا يمثل حقيقة القرآن، وفى تفسيرات القرآن التي بين أيدينا الآن نجد أقوالاً من علماء أفاضل في تفسير الآية نراها متهافتة، ومع ذلك لا نعيب إلا على قائلها وفهمه ولا نعيب القرآن [3].

وحين نطالع في أمات التفاسير نجد فيها أقوالاً قد تكون مضحكة وهي من المبكيات كالذي نجد عند الإمام الحافظ المحقق المدقق ابن كثير في تفسير النون الواردة في (سورة القلم) بالحوت العظيم المأخوذ أو المستنبط من نظرية "أطلس" الإغريقية في وصف الأرض، فقد روى عن مجاهد أنه كان يقال: النون الحوت العظيم الذي تحت الأرض السابعة،

---

1 ينظر: خضر، د. عبد العليم عبد الرحمن، الإنسان في الكون بين القرآن والعلم، عالم المعرفة: 114.

2 ينظر: محمد، حنان، التغير الاجتماعي في الفكر الإسلامي الحديث: 230.

3 النمر، عبد المنعم، علم التفسير كيف نشأ، دار الكتب الإسلامية: 1/ 149.

ونقل ابن كثير عن البغوي وجماعة من المفسرين أن على ظهر هذا الحوت صخرة سمكها كغلظ السموات والأرض، وعلى ظهرها ثور له أربعون ألف قرن وعلى متنه الأرضون السبع وما فيهن وما بينهن [1].

ولا يرى الباحث بأسًا في أن يورد المفسر تلك الآراء، لكن المشكلة في ذكرها من غير نقد، بل حتى لو لمح لضعف السند جاز من غير نكير، وذلك لئلا يتشبث بها هواة الغرائب والعجائب والخرافات والأساطير، وما أكثرهم اليوم بين الناس!

إننا حقيقة نحتاج في تفسير الآيات القرآنية الكريمة إلى ميزان دقيق وهو الآتي:

المطلب الثاني: الميزان العلمي للتفسير القرآني؛ ميزان المفسر

هذا الميزان يكشف العلاقة الصميمية بين التفسير وبين قواعد اللغة العربية، بحيث إذا اختلت القواعد عند الجنوح لرأي من الآراء في التفسير عندئذ لا يبقى لذلك التفسير قيمة بل إنما يطرح ويترك لكونه اتباعا للهوى ومروقا عن الدين وطلبا لشيء من حطام الدنيا ومتاعه الزائف الزائل.

لا يمكن لأي باحث في مجال التفسير أن يؤول أو يفسر كلام الله تعالى بما اشتهت نفسه، بل لا بد أن يتصف بمؤهلات تعده للتفسير، وأن يمتلك في عمله هذا الميزان الذي يتكون من المقومات والأركان التالية:

1) خضوع التفسير لدلالات اللغة العربية وقواعدها التي لا خلاف فيها.
2) خضوعه لقواعد تفسير النصوص المتفق عليها، كأحكام العموم والخصوص والإطلاق والتقييد والمنطوق والمفهوم. إلخ...
3) ألا يتعارض التفسير معارضةً حادةً مع مضمون آية أخرى في القرآن، بحيث لا يكون من سبيل للجمع بينهما تحت ظل أية قاعدة من قواعد تفسير النصوص.
4) ألا يتعارض التفسير معارضةً حادةً مع مضمون الدلالة الثابتة لنص حديث نبوي صحيح، بحيث لا تترك هذه المعارضة سبيلاً سائغاً للتوفيق بينهما.

من هذه المقومات الأربعة فقط يتكون الميزان الذي لا بد من الاحتكام إليه لتفسير آية من القرآن الكريم، وهو ميزان متفق عليه عند علماء العربية والتفسير) [2].

أما شروط المفسر العلمي التي لا بد من توفرها فيه فهي [3]:

1) معرفة متقنة باللغة العربية وفهم دقيق لمعانيها ودلالاتها.
2) معرفة شاملة بالقرآن، ويستحسن أن يكون حافظاً.
3) اطلاع على التفاسير المتوفرة.

---

1 ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/ 204.

2 البوطي، الإسلام ملاذ المجتمعات الإنسانية: 150- 151؛ ينظر: بسام، أحمد، المعجزة: إعادة قراءة الإعجاز اللغوي في القرآن: 31-32؛ فارس، عبد الرحيم، شوائب التفسير في القرن الرابع عشر الهجري: 27-30.

3 صيرورة الكون: 31؛ ينظر: القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن: 340؛ المعجزة: إعادة قراءة الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم: 31-32؛ الوائلي، أحمد، نحو تفسير علمي للقرآن: 56-58، أضاف لها المؤلف: السلامة الجسدية والنفسية، والقابلية على تحمل الصعاب، والورع.

4) معرفة تخصصية دقيقة بالمسائل العلمية التي يتحرَّاها المفسر العلمي، والأخذ بالمعلومات من مصادرها الأصيلة.

لكن مع مراعاة تلك الضوابط التي في الميزان ينبغي أن يكون عند المفسر شجاعة تؤهله لنبذ الجمود وإغلاق الفكر في المتوارث، نعم يرى الشيخ محمد الغزالي مشكلة قديمة جديدة، مشكلة النهي عن التفسير بالرأي، الذي أوجد حاجزاً نفسياً يحول دون النظر في القرآن الكريم، ومحاولة ارتياد آفاق حضارية تؤكد معنى الخلود له من خلال استمرار القراءة القرآنية لقضايا العصر.

كما أدَّى هذا إلى لون من التجمد عند حدود الرؤية في عصر التنزيل، وهذا إن صح في العبادات التوقيفية، التي لا تتطور، فلا يمكن أن يقبل في شؤون الحياة الأخرى المتطورة والتي لا بد لها من الانطلاق والامتداد على هدى القرآن الكريم، والاغتراف منه على مدى الزمن بكل إنجازاته لأن ذلك من مقتضى الخلود.

فقد تكون عملية تحريم الرأي مطلقاً، الناتجة عن النظر والتفكر في القرآن، لوناً من المحاصرة لامتداد القرآن وخلوده!

ويبقى التفسير بالمأثور مطلوباً ليكون من عواصم الزلل التي يمكن أن يقع بها التفسير بالرأي، من وجه آخر.

فالشيخ يعتقد أن الرأي الذي نهينا عن تفسير القرآن الكريم به هو الهوى مجرد الهوى ليس إلا، وهو أن يكون الإنسان سيء النية، أو متجهًا إلى مأرب من المآرب فيتلو القرآن الكريم ويلوي عنقه لكي يخدم هذا المأرب أو هذا الرأي، وهذا هو المحرم شرعًا، لا أن يكون للإنسان رأي في تفسير القرآن الكريم، مع ضوابط اللغة التي لا يمكن اختراقها[1]. وبذا ينسدل الستار على آخر ما تضمنه المطلب الثانبي من المبحث الثاني والأخير.

الخاتمة:

يحسن وقد انتهى البحث إلى مرحلته النهائية بعد تطواف في مباحثه ومطالبه إبراز ما تضمنه من زبدة ونتائج وهي في النقاط الآتية: -

1) القرآن كلام الله تعالى وهو الكتاب المقروء، يشرح بوضوح ما نجده ونشاهده في الكتاب المنظور وهو الكون الواسع الفسيح بعجائبه وغرائبه وأسراره التي تكتشف يوما بعد يوم.

2) نلاحظ أصل تلك الاكتشافات العلمية في كتاب الله تعالى القرآن الكريم في صورة مفاتيح تفتح للباحثين أبواب الحقائق العلمية.

3) كشف البحث طريقة التعامل مع القرآن الكريم في هذا العصر، وقد أصبح لزاما على الدارسين والباحثين أن يثوروا القرآن ليصلوا إلى الحقائق التي أثبتها العلم أو سوف يثبتها في المستقبل.

4) أمور أخرة وردت في صلب البحث.

---

1 ينظر: الغزالي، محمد. كيف نتعامل مع القرآن، شركة نهضة مصر، ط7، 2005م: 197.

5) هنا يقترح الباحث إعداد بحوث التخرج على ضوء هذا البحث، وأن يقبلوا لاختيار بحوثهم بهمة وعزيمة وبنية التقرب من الله تعالى، وليس الامر قاصرا على بحوث التخرج بل يتعداها إلى الرسائل العلمية الجامعية في الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه).

6) هنا يوصي الباحث أن تعقد الندوات والمؤتمرات والملتقيات بموجب أهداف هذا البحث والعمل الدؤوب لاستثمارها لخدمة المجتمع بروح العلم والمعرفة ونفع بني البشر عامة.

قائمة المراجع المعتمدة:

- **المراجع العربية:**
- **الكتب:**

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تح: محمد حسين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ.
- أبو شُهبة، محمد (ت: 1403هـ)، المدخل لدراسة القرآن الكريم، دار اللواء، الرياض، ط3، 1407هـ.
- البوطي، محمد سعيد رمضان، الإسلام ملاذ المجتمعات الإنسانية، دار الفكر، دمشق، ط1، 1404هـ= 1984م.
- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت 685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418هـ.
- الجابي، سليم، النظرية القرآنية الكونية حول خلق العالم، د. ن، د. ط، 1992م.
- الجسر، الشيخ نديم حسين، قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن،، مطابع المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1389هـ= 1969م.
- خضر، د. عبد العليم عبد الرحمن، الإنسان في الكون بين القرآن والعلم، عالم المعرفة- جدة، ط1، 1403هـ- 1983م.
- ساعي، أحمد بسام، المعجزة إعادة قراءة الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، المعهد العالي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الامريكية، ط1، 1433هـ= 2012م.
- الصنهاجي، عبد الحميد محمد بن باديس (ت: 1359هـ)، تفسير ابن باديس المسمى "في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1416هـ= 1995م.
- طاهر، حمزة، الدين والعلم، أحمد عزت، ترجمة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د. ط، د. ت.
- الطائي، د. محمد باسل، صيرورة الكون مدارج العلم ومعارج الإيمان، عالم الكتب الحديث، إربد، د. ط، 2010م.
- الغزالي، محمد:
  - علل وأدوية، دار الشروق، د. ط، د. ت.
  - كيف نتعامل مع القرآن، شركة نهضة مصر، مطابع المنطقة الصناعية الرابعة، القاهرة، ط7، 2005م.
- فاغليري، د. لورا فيشيا، دفاع عن الإسلام، ترجمة: منير البعلبكي، دار العلم

للملايين، مطبعة العلوم، بيروت، ط 5،، 1981م.

- القطان، مناع بن خليل (ت: 1420هـ)، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف، ط3، 1421هـ= 2000م.

- محمد، حنان، التغير الاجتماعي في الفكر الإسلامي الحديث، المعهد العالي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الامريكية، د. ط، 1432ه.

- محمود، د. عبد الحليم، موقف الإسلام من الفن والعلم والفلسفة، دار الرشد، القاهرة، ط2، 1424هـ.

- نخبة من العلماء الأمريكا، الله يتجلى في عصر العلم، تأليف: ترجمة: د. الدمرداش عبد المجيد سرحان، مراجعة وتعليق: د. محمد الفندي، دار القلم، بيروت، د. ط، د. ت.

- النمر، عبد المنعم (ت: 1991م)، علم التفسير كيف نشأ وتطور حتى انتهى إلى عصرنا الحاضر، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ط1، 1405هـ= 1985م.

- النورسي، بديع الزمان، سعيد صيقل الإسلام- أو آثار سعيد القديم -، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر، القاهرة، ط6، 2011م.

- الوائلي، أحمد، نحو تفسير علمي للقرآن، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 1405هـ= 1985م.

المقالات:

1. بلقاضي، عمر، مكانة العلوم الكونية والمهنية في الإسلام، رابطة أدباء الشام، في 4/ نيسان/2009م.

2. دكار، د. إلياس، المنهج البوكابي في إثبات ربانية القرآن في ضوء العلم (دراسة في الفكر العلمي لموريس بوكاي)، مجلة الدراسات العقدية ومقارنة الأديان، مخبر البحث في الدراسات العقدية ومقارنة الأديان التابع لكليّة أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، المجلد: 9، العدد: 1، د. ت.

الأطاريح:

1. عبد الرحيم فارس أبو عبلة، شوائب التفسير في القرن الرابع عشر الهجري،، أطروحة بإشراف: د. أنس جميل طبارة، جامعة بيروت الإسلامية، كلية الشريعة، بيروت، د. ط، 1426هـ.